معارف
ISSN 1112-7007
EISSN 6804 -2600
المجلد 16/ العدد 2 (ديسمبر 2021): ص.ص:1181-1196

الاستراتيجية الفرنسية في احتواء القبائل الموريتانية وإخضاعها للاحتلال من عام 1898 - 1909م

The French strategy to contain the Mauritanian tribes and its subjection to occupation from 1898 to 1909

د. محمد سريج*

كليةالعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الشلف، الجزائر، m_seridj@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2021/08/28؛ تاريخ القبول: 2021/11/06؛ تاريخ النشر: 2021/12/31

ملخص

تعرضت موريتانيا للتنافس الاستعماري الأوربي منذ القرن 15 م، بدأ بالبرتغاليين والاسبان ثم الهولنديين والانجليز والفرنسيين، واستتب الأمر في النهاية للفرنسيين الذين راهنوا على استكمال مشروع احتلال شمال غرب إفريقيا لأسباب استراتيجية وسياسية ودينية واقتصادية، متخذين استراتيجية في السيطرة على البلاد، إذ دخلوا في البداية كتجار ثم ما لبثوا وأن استمالوا رؤساء القبائل المحلية مستغلين التنافس المحموم بينهم فأغرتهم بالسلطة والمال وألّبت الواحد على الآخر حتى استطاعت أن توقع اتفاقيات متفرقة مع أبرز القبائل الموريتانية كالترارزة 1903م والبراكنة 1904 وتكانت 1905 وأخيرا آدرار عام 1909م، وبالتالي استكملت مشروع الاحتلال الذي بدأ به "قزافي كوبولاني" مهندس مشروع الاحتلال بداية القرن العشرين.

الكلمات المفتاحية : موريتانيا؛ التنافس؛ الاستعمار؛ فرنسا؛ أوربا؛ القبائل.

Summary:

Mauritania was subjected to European colonial competition since the 15th century AD, it started with the Portuguese and the Spaniards, then the Dutch, the English and the French, and the matter settled in the end for the French who bet on completing the project to occupy northwest Africa for strategic, political, religious and economic reasons, adopting a strategy to control the country At first they entered as merchants, then they soon persecuted the chiefs of the local tribes,

* المؤلف المرسل.

taking advantage of the feverish competition between them, tempting them with power and money, and appealing to one against the other until it was able to sign separate agreements with the most prominent Mauritanian tribes such as Tararza in 1903 and Barakna in 1904 and Takant in 1905 and finally Adrar in 1909 AD, and accordingly, the occupation project, which was initiated by "Qazaviy Kobolani", the architect of the occupation project at the beginning of the twentieth century was completed.

Key words: Mauritania; rivalry; colonialism; France; Europe; Tribes.

المقدمة

خضعت منطقة غرب إفريقيا للاستعمار في الفترة ما بين 1880 و1914 م باستثناء ليبيريا، وموريتانيا[1] كغيرها من الشعوب المشكّلة لهاته المنطقة وبقدر ما كانت البيئة الصحراوية قاسية عليها، بقدر ما وجدت نفسها أمام تكالب الدول الغربية عامة وفرنسا بشكل خاص، هذه الأخيرة التي استغلت الظروف الصعبة التي يعيشها الموريتانيون، فراحت تفرض منطقها الاستعماري عليهم، فأخضعت البلاد للاحتلال في مختلف جوانب الحياة : السياسية والعسكرية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، مستغلة صراع القبائل فيما بينها،، وكل أمير يحكم إمارته باستقلالية عن بقية الأمراء الآخرين، وظلت هذه الإمارات قائمة بعد الاحتلال بعد أن جرد الأمراء من سلطاتهم وأصبحوا رؤساء إداريين مسئولين أمام الولاة الفرنسيين، **فما مبررات الاهتمام الفرنسي بموريتانيا؟ وما الاستراتيجية المنتهجة في إخضاع القبائل الموريتانية للسيطرة على البلاد؟**

01 . الاهتمام الفرنسي المباشر بموريتانيا:

مشروع موريتانيا الغربية كان الحلم الذي شغل الدبلوماسية الفرنسية، حيث كانت فرنسا تعمل على تكوين إمبراطورية استعمارية كبرى في شمال غرب إفريقيا ولم يتم لها ذلك إلا باحتلال موريتانيا التي تمثل حلقة وصل أساسية بين كل الأطراف،

(1) . تعرف قبل الاستقلال ببلاد شنقيط، وكان أهل المشرق يعرفون أهلها بأنهم الشناقطة . جمع شنقيطي المنسوب إلى شنقيط . وشنقيط مدينة موجودة في موريتانيا تقع في المنطقة الشمالية الغربية منها، واشتهرت لكونها واقعة على طريق القوافل المسافرة من المغرب عبر الصحراء إلى بلاد السودان الغربي، ينظر: حماه الله ولد السالم، تاريخ موريتانيا (العناصر الأساسية)، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء المملكة المغربية، 2007، ص57.

ولعل سعي فرنسا من وراء ذلك كانت تهدف إلى ما يلي:

1 . الاهتمام المبكر بثروات البلاد المعدنية وتوالي البعثات العلمية.

2 . اعتبار الفرنسيين أن الحل النهائي لتأمين وجودهم في السنغال وتقدمهم في باقي غرب إفريقيا هو الاستيلاء على المنطقة كلها.

3 . سياسة فرنسا الهادفة إلى ملء الفراغ قبل أن تستولي قوة أوربية أخرى على هذا البلد[1].

4 . تأمين المستعمرات من هجمات البدو الرحل التي تهددها بين الحين والأخر وخاصة المتمركزة على نهر "السنغال".

5 . دعم السلم في موريتانيا من أجل حماية القوافل التجارية وتوسيع دائرة تجارة المستعمر المستغلة للثروات من صمغ وملح وأسماك ومعادن.

6 . قطع الطريق أمام المقاومة المغربية وإبقائها متمركزة وراء خطوطها الظهرية.

7 . ربط المناطق المتصلة من المغرب العربي بإفريقيا الغربية.

8 . عرقلة المد الثقافي الإسلامي.

في مستهل القرن العشرين، وفي ظل الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي كانت تعيشها موريتانيا في ظل التدخل غير المباشر الفرنسي في شؤون الإمارات والقبائل وسياسته التي انتهجها معهم، كل هذه العوامل سهلت المهمة لفرنسا بتنفيذ مخططها الاستعماري الرامي إلى ضم البلاد ككل البلدان المغاربية أو الإفريقية الأخرى التي انضوت تحت لوائها، سيما مع وصول "روم" Roume حاكما عاما على السنغال، وكان متفقا مع "كوبولاني"[2].

(1) . غاستون دوفور، تاريخ العمليات العسكرية في موريتانيا ق17 . 1920م، تعريب وتعليق: المقدم محمد المختار ولد محمد ولد بيّة، الناشر: مكتبة القرنين 21/15 للنشر والتوزيع، ط1، انواكشط، موريتانيا، 2012، مقتطف من مقدمة المترجم : محمد المختار ولد محمد ولد بيّة، ص15.

(2) - ولد "كزافي كبولاني Xavier Coppolani في 1866/02/02 بإحدى جزر كورسيكا، هاجر إلى الجزائر رفقة عائلته وتعلم العربية، وبعد التخرج عيّن سنة 1889 كاتبا مزدوجا لبلدية وادي الشريف، وترقى عام 1896 ليتولى إدارة شؤون الأهالي في الجزائر العاصمة ودخل عالم التأليف عن الطرق الصوفية ونشر كتابه في سبتمبر 1898، وفي 1901 قدم مشروعه فرض السلم في إقليم السودان الغربي، ويعد أول من مهّد للوجود الفرنسي في موريتانيا قبل أن يغتال 1905 ومشروعه لم يكتمل بعد. ينظر : صابر نور الدين، "كزافي كبولاني والتوسع الفرنسي في المغرب العربي (1866 . =

على احتلال موريتانيا وأيّده هذا الأخير في احتلال المناطق المحاذية للنهر بما فيها منطقة الجنوب الغربي الموريتاني بحجة وضع حد لعمليات النهب والسلب وإعادة الأمن للمنطقة المذكورة وحماية المجتمعات الزنجية من إغارة البيظان[1]، هنا وجدت فرنسا نفسها تسيطر على البلاد بأقل التكاليف بادئة الترارزة[2] والقبلة[3]. منتهجة بعض الوسائل في تحقيق سياستها الاستعمارية أهمها:

- المرونة في المواقف وسياسة التغلغل في البنيان الاجتماعي والسياسي والفكري للمجتمع البيضاني قبل الإقدام على احتلاله.
- سياسة فرق تسد التي طبقتها على القبائل الموريتانية قصد إحداث الفتنة[4].
- تنظيم بعض الحملات العسكرية ضد المناوئين والرافضين من بعض القبائل التي تصدت له[5].
- العمل على الوتر العرقي: إذ طلب "كابولاني" من الفرنسيين الزواج من الموريتانيات حتى تختلط الأعراق والأنساب حتى تعزز فرنسا وجودها من الناحية الاجتماعية[6].

=

1905)"، مجلة : الحكمة للدراسات التاريخية، المجلد 5، العدد 12، (ديسمبر 2017)، ص112 . 113.

(1) . محمد الراظي بن صدفن، السياسة الاستعمارية في موريتانيا وأثرها على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية 1900. 1960، بيروت، لبنان، 1966 .ص . ص56. 88.

(2) . تأسست إمارة الترارزة في الثلث الأول من القرن الثامن عشر 1721م.

Paul Marty, Etudes Sur L'islam Et Les Tribus Maures- Les Brakna, Ernest Leroux, Paris, 1921, pp03-05

(3) . فاطمة بنت الإمام، المقاومة الدينية من خلال المحاضر، بحث لنيل شهادة الكفاءة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية قسم التاريخ، جامعة نواقشط، 1989 /1990، ص13.

(4) . عبد المالك خلف التميمي، الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ص68.

(5) . فاطمة بنت الإمام، مرجع سابق، ص09.

(6) . بالنسبة لإمارة الترارزة، كانت تعيش أوضاعا سياسية وعسكرية صعبة، منذ أن قتل محمد الحبيب ظل أبناؤه في صراع دموي على السلطة، كل منهما يقتل الآخر، مما جعل فرنسا تقف على الحدود متفرجة، سيما بعد قتل سيدي محمد بن الحبيب على يد أخيه أحمد السالم (1891 . 1905) بعد أن تخلص من عمه الأمير السابق عمر سالم ولد محمد الحبيب الذي حكم الإمارة من قبله لمدة أربع سنوات وبلغ الصراع أشده عام 1902، وهي السنة التي أرسل الحاكم العام لإفريقيا الفرنسي الرائد "ديلابلان" delaplane، على رأس بعثة لتقصي الحقائق في الترارزة، مما جعل هذا أحمد السالم يرسل للحاكم الفرنسي بمدينة "سان لويس" رسالة يقول فيها: "إن القتل على الإمارة لا يعتبر أمرا مشينا عند العرب"، ينظر: علي بدوي علي سالمان، الطريقة =

من جهة، ومن جهة أخرى وبفعل التفوق العسكري واستمالتها للعديد من الأفراد جعلت من بعض القبائل جيشا وتعددت جبهات القتال وعدم توفر المجاهدين على السلاح والمؤونة والحرب النفسية التي شنتها فرنسا في الأوساط الشعبية[1].

وقصد التمهيد للمشروع الاستعماري قام "كوبولاني" Coppolani سنة 1898 بزيارة استطلاعية للقسم الشرقي من البلاد الموريتانية الحالية ووقّع اتفاقيات مع أعيان المنطقة أهمها اتفاقية "واركيطة" مع محمد المختار ولد محمد محمود رئيس مشظوف[2]، ثم تم توقيع اتفاقية بين فرنسا وإسبانيا سنة 1899 وأصبح جزء من أراضي البيضان فرنسيا دون أن يعلم أهله وأخيرا رسم هذان البلدان (فرنسا واسبانيا) حدود نصيب اسبانيا من أتراب البيضان في اتفاقية 1900/05/27[3]، هذه الرحلات المتعددة ساعدت في بلورة مشروع " كابولاني" الهادف إلى احتلال الأراضي الموريتانية ووضعها تحت الهيمنة الفرنسية وهو المشروع الذي خرج إلى الوجود في السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر[4].

02 . الاستراتيجية الفرنسية في احتواء القبائل الموريتانية:

أ . مشروع كوبولاني واحتلال موريتانيا:

مع بداية القرن العشرين، واصلت فرنسا سياسة التوسع والضّم، فاتفقت مع اسبانيا على أن تسيطر هذه الأخيرة على مناطق الصحراء الإفريقية الكبرى الممتدة غربا شمال الرأس الأبيض، في حين تبسط فرنسا نفوذها على المناطق الواقعة جنوب هذا الرأس[5]،

=

القاديرية والاستعمار الفرنسي في موريتانيا 1960/1903، رسالة ماجيستير، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، قسم التاريخ، جامعة القاهرة، 2003، ص59 و61.

(1) . علي بدوي علي سالمان، مرجع سابق، ص59.

(2) . قبيلة مشظوف : كلمة مشظوف : هي تعريب للفظ الصنهاجي " شظش "، في القرن السادس عشر الميلادي وصل إلى تكانت ثلاثة رجال هم : "بوهماد" و" شاظف" الملقب "مشظوف" و"النيبط". ينظر : حماه الله ولد السالم، تاريخ موريتانيا (العناصر الأساسية)، مرجع سابق، ص34.

(3) . غاستون دوفور، مصدر سابق، ص16.

(4) . علي بدوي علي سالمان، مرجع سابق ص35.

(5) . جوزيف صقر، قصة وتاريخ الحضارات العربية بين الأمس واليوم، (القسم الثاني موريتانيا)، مطبعة كرابس الدولية، بيروت، لبنان، 1999، ص163.

ففي يناير 1899م قام الجنرال الفرنسي المقيم في الجزائر "ديترانتينيان" بتكليف "كوبولاني" بأول مهمة له في بلاد البيضان، فدرسهم من الوجهة السياسية والدينية وخضعوا له بطريقة سلمية[1]، ولنجاحه في هذه المهمة كتب وزير المستعمرات بواسطة الوالي العام بالجزائر في 30 ديسمبر 1899 م قائلا: "الوقت قد حان لنعطي لعلاقاتنا مع هذه القبائل وجهة أكثر اتساقا مع تقاليدهم ومعتقداتهم"[2].

بناء على نشاط كوبولاني، اقترح فكرة احتلال الأقاليم التي يسكنها البيضان من الضفة اليمنى للنهر إلى تمبكتو إلى الجنوب الجزائري وإلى تخوم المغرب وتم منحه لقب" مقيم ببلاد البيضان، وعليه قام رفقة فرنسي آخر يدعى "بينكير" بإعداد مشروع احتلال البلاد وقدماه إلى وزارة المستعمرات التي أحالته إلى الوالي العام لإفريقيا الغربية الفرنسية لدراسته، لكن الوالي اعترض على ذلك مبررا حسن العلاقة بين البيضان والفرنسيين منذ أكثر من خمسين سنة[3]، وعليه أعاد كوبلاني الكرة مرة أخرى بتعديل[4] في المشروع السابق، الأمر الذي لقي قبولا من القيادة الفرنسية وتمت الموافقة على المشروع وشرع في تنفيذه في مارس 1901، إذ وصل إلى اندر (سانت لويس) في مهمة استطلاعية جديدة أخذ خلالها في تمتين أواصر الصداقة مع عدد من مشايخ البيضان الدينيين، ثم عاد إلى فرنسا لإقناع السلطات بأن الأوان قد حان للشروع في تنفيذ الاحتلال.

أخذ الفرنسيون في التمهيد لسياستهم الاستعمارية بقيامهم في مارس 1902 بالتدخل بصورة مباشرة في شؤون البيضان حيث قاموا بإنشاء ثكنة عسكرية في دكانة، تحت إمرة الرائد دولابين" Delapiane مكلفة بفرض زعامة الأمير أحمد سالم بن أعلي على الترارزة، ثم انتقلت هذه الثكنة في شهر ماي مع الأمير أحمد سالم إلى سهوة الماء[5]

(1) . الرائد جيليه، التوغل في موريتانيا، تع : محمدن بن حمينا، دار الضياء للنشر والتوزيع، الكويت، 2007، ص127.

(2) . روبير راندو، اكزافي كوبولاني لوباسيفيكاتير، مطبعة، أ .ايمير، الجزائر، 1939، ص72.

(3) . الحسين بن محنض، تاريخ موريتانيا الحديث (من دولة الامام ناصر الدين إلى مقدم الاستعمار 1322/1055 هـ . 1645م/1905م)، ط1، دار الفكر، نواكشقط، موريتانيا، 1431 هـ . 2010م، ص273.

(4) . التعديل الذي قام به كوبولاني ورفيقه هو استثناء وادي الذهب من خطة الاحتلال لأنه كان ضمن اهتمامات إسبانيا وإنجلترا، ينظر : روبير راندو، مصدر سابق، ص94.

(5) . سهوة الماء : أي آخره، وهذا موضع انتهاء بحر آركير، وفي هذا الموضع غابة عظيمة يقال لها "الكانة" وهي أشجار ملتفة وتسكنها السباع كثيرا، وتأوي إليها اللصوص وقد ينزلها أبناء دامان، إذا خافوا، فيتحصنون بها من =

شمال بحيرة الركيز حيث انضم إلى أنصاره، ومثّل ذلك أول حضور عسكري للفرنسيين في بلاد البيضان، وتهادن الأمير أحمد سالم بن أعلي مع سيدي بن محمد فال الذي كان ينازعه الإمارة فانسحبت الثكنة الفرنسية من سهوة الماء[1].

ب . سياسة فرنسا في احتلال القبائل الموريتانية:

بنت فرنسا علاقتها بالأمراء الموريتانيين على أساس أنهم سادة، وأن الفرنسيين تجار يدفعون رسوما جمركية من أجل تأمين التبادل التجاري، وأصبحت الضرائب هي العمود الفقري لاقتصاد الإمارات المحاذية لنهر السنغال وأصبح هناك تنافسا محموما بين الأمراء[2].

لم تكتف فرنسا باستمالة الأمراء من خلال الأموال التي كانت تدفع لهم، بل أيضا وجدت في شيوخ القبائل فرصة لكسب ولائهم، والأكثر من ذلك العمل على سياسة إحداث الخلاف بين الأمراء والشيوخ لتكون في الأخير هي المنتصر، وعليه عملت على تدعيم دور رؤساء القبائل على حساب الأمراء من خلال تقديم المساعدات المالية والعسكرية إليهم والتعامل معهم مباشرة دون الوسيط الأميري مشجعة حركة عصيانهم على الأمراء في محاولة لتهميش المؤسسة الأميرية المتداعية ولإذكاء الصراعات الداخلية، مما جعل بعض الشيوخ يمتنعون عن دفع الضرائب للأمراء والخروج عن الطاعة[3]، هذا الصراع الذي أذكاه الفرنسيون بين شيوخ القبائل والأمراء امتد إلى صراع بين شيوخ القبائل أنفسهم، وحتى بين الرعايا فاتخذت فرنسا من بعض الشيوخ مكلفين بجبي الضرائب على تابعيهم مقابل نسب معلومة الأمر الذي أعطى شيخ القبيلة أهمية سياسية واقتصادية وتذمر الأهالي من سياسة الجبي التي كلفتهم الكثير[4].

عملت فرنسا على استراتيجية إذكاء الصراعات والتنافس بين الأمراء القبليين في موريتانيا حتى تستفيد هي من هذا الوضع الداخلي المتميز بالفتنة بين أبناء الأرض

=

عدوهم ولم يقدر أحد أن يغزوهم بها، غير ابن اعل بن محمد الحبيب فإنه اقتحم عليهم فيها ومزقهم كل ممزق، ينظر : محمد يوسف مقلد، موريتانيا الحديثة : غابرها . حاضرها أو العرب البيض في إفريقيا السوداء، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، (د، س، ن)، ص168 . 169.

(1) . روبير راندو، مصدر سابق ،ص94.

(2) . علي بدوي علي سالمان، مرجع سابق، ص41.

(3) . أزيد بيه بن محمد محمود، الزوايا في بلاد شنقيط، انواكشط، د.ت، ص173.

(4) . غيثي بن أمم، إمارة أولاد يحيى بن عثمان (1900 . 1932)، المدرسة العليا للتعليم، نواقشط، 1986، ص27.

الواحدة منها التدخل الفرنسي الكبير في الخلافات على السلطة داخل إمارة "الترارزة" بين أحمد سالم ولد أعل وابني محمد فال سيدي وأخوه أحمد ولد الديد اللمسة الأخيرة على خطة التقدم داخل البلاد وأرسلت فرنسا قوة عسكرية في مارس 1902 إلى "سهوة الماء" لمساندة الأمير احمد سالم ولد اعل وبذلك مهدت لاتفاقية دكانة التي تخلى فيها الأمير عن حقوقه لصالح الفرنسيين يوم 1902/12/15 ودخل بعدها "كوبولاني" في 22 ديسمبر من نفس السنة إلى البر الموريتاني وثبّت الوجود الفرنسي في البلاد عبر "الترارزة" وبدت التقارير الأولى للحملة مبشّرة للفرنسيين[1].

ج . احتلال قبيلة الترارزة 1903م:

راحت فرنسا تعمل على ربط علاقات وصلات تجارية كخطوة أولى لتثبيت أقدامها هناك، فعقدت اتفاقا مع أمير قبيلة "الترارزة" بغرض تسهيل التجارة للفرنسيين. يقول النقيب الفرنسي "غاستون دوفور": "في مطلع 1902 وجدنا الفرصة للتدخل في الترارزة لمساعدة أحمد سالم الأمير المعترف به من طرفنا، وفي 10 ديسمبر 1902م غادر "كوبولاني" "اندر" للقيام بجولة عمل في الترارزة التي قرر أن يبدأها بالاحتلال وتمكن من دفع الأمير أحمد سالم بن أعلي إلى توقيع اتفاق يتنازل بموجبه عن امتيازاته وصلاحياته وضرائبه مقابل تعويض فرنسي ثابت، ويضع بموجبه تحت الحماية الفرنسية وقام بإنشاء أول مركز عسكري فرنسي ببلاد شنقيط بسهوة الماء في 15 ديسمبر 1902م[2]، وفي 25 من جانفي 1903 جاءت القبائل المجاورة إلى كوبولاني تعطيه الأمان[3]، وفي 05 فيفري 1903 أقام كوبولاني مركزا عسكريا ثانيا باخروفة، وتوجه إلى نواقشط لإقامة مركز عسكري ثالث لكن استقباله لقبائل المنطقة أخر إقامة المركز، وفي 21 مارس 1903، ثم عاد إلى آندر ومعه حشود من البيضان الذين خضعوا له، وبنجاحه أمره وزير المستعمرات "غاستون دومرك" بمواصلة عملية التوسع بنفس

(1) . غاستون دوفور، مقتطف من مقدمة المترجم: محمد المختار ولد محمد ولد بية، مصدر سابق، ص 16 .

(2) . الحسين بن محنض، مرجع سابق، ص274.

(3) . لم يكن احتلال الترارزة سهلا بل قد تعرض الفرنسيون للسلب والنهب منها على سبيل المثال تعرض قافلة تموين يحرسها بعض الرماة والفرسان لهجوم فاشل بين اخروفة وسهوة الماء هذا بين 07 و13 مارس 1903 وفي 21 مارس جرى قتال راح ضحيته 18 قتيلا في صفوف القبائل مقابل جرح رقيب درك أوربي وخمسة من الخيالة، ينظر: غاستون دوفور، مصدر سابق، ص68.

الطريقة بدءا بالبراكنة ثم تكانت وأمره بتأجيل احتلال آدرار حتى يرخص له في ذلك [1]، وفي 25 من فيفري التحق المنشق ولد محمد فال وأكد ولاءه [2] وبالتالي أصبحت الترارزة تحت حكم الفرنسيين بشكل نهائي، وفي ماي 1903 تم تعيين كوبولاني مندوبا للوالي العام في موريتانيا ومكلفا بالضرائب والعدل في مستعمرة الترارزة[3].

د . احتلال قبيلة البراكنة 1904م[4]:

تمكن "كوبولاني" من احتلال "البراكنة" التي وصل إليها في ديسمبر 1903، وأقام بها مركزا عسكريا بألاك[5]، كما أسّست فرنسا في ديسمبر من نفس السنة مركزا للتموين ببوكي[6]، الأمر الذي اعتبره البراكنيون خطوة أولى للاحتلال[7]، وتمكن النقيب "شوفو" Chauvet من إقامة نقطة عسكرية بها ليبدأ منها "كوبولاني" نشاطه السياسي مع السكان سنة 1904[8]، وبذلك توطد النفوذ الفرنسي بالمنطقة تمهيدا لاحتلال تكانت[9].

تكانت[9].

هـ . احتلال قبيلة تكانت 1905:

اعتبرت موريتانيا بموجب مرسوم 28 اكتوبر 1904 منطقة مدنية وأن كوبولاني مفوضا عاما عليها دفع بهذا الأخير إلى مواصلة سيره نحو الهدف وهو إخضاع باقي

(1) . الرائد جيلبيه، مصدر سابق، ص146.

(2) . غاستون دوفور، مصدر سابق، ص65 إلى 68.

(3) . روبير راندو، مصدر سابق ،ص 94 .

(4) . تأسست في القرن 11 هـ حتى القرن 13 هـ (18/17 م) في الجنوب الغربي للبلاد على يد عبد الله بن كروم بن بركاني ثم انقسمت بين ولديه أمحمد وأعلي، تعد أهم القبائل المغفرية ببلاد الشنقيط موريتانيا.
Paul Marty, op.cit, pp 03-05.

(5) . الحسين بن محنض، مرجع سابق، ص274.

(6) . محمد سعيد بن همدي، موريتانيا وأوربا عبر التاريخ، (د، د، ن)، أطار، موريتانيا، 2002، ص28.

(7) . علي سلمان بدوي، مرجع سابق، ص64.

(8) -Paul Marty, op. cit, p6.

(9) . لمعرفة التفاصيل الدقيقة عن احتلال القبائل الموريتانية من "الترارزة" و"تكانت" و"البراكنة" و"آدرار" وغيرها ينظر: غاستون دوفور، مصدر سابق، ص63 إلى 78.

القبائل الموريتانية وأهمها تكانت [1] وآدرار، وجهّز حملة عسكرية على "تكانت" ونجح في القضاء على قوات إدوعيش وتفريقها، كما تمكنت من القضاء على أميرها بكار ولد أسويد أحمد الذي رفض الاستسلام في 01 أفريل 1905 ونتج عن ذلك تأسيس مركز إداري في بتجكجة[2].

لم تمر فترة طويلة على استشهاد زعيم "تكانت" بكار ولد أسويد أحمد حتى لقي "كوبولاني" حتفه[3].

بعدما عملت فرنسا على عقد اتفاقيات مع القبائل أولها قبيلة "الترارزة" عام 1902 وأخضعتها نهائيا عام 1903 م ومع غيرها من القبائل الأخرى إلى غاية 1905، ومنذ ذاك الحين بدأت مرحلة الاحتلال العسكري لجميع أنحاء البلاد، واستمرت حتى عام 1934، حيث أخضعت البلاد بالقوة للاحتلال العسكري المباشر[4].

لقد اعتمد المستعمر في سياسته على تنازع الإمارات فيما بينها، كما استفاد من عدم الاستقرار السياسي داخل كل إمارة، الأمر الذي هيأت له أسباب النجاح، كل هذا قد يعد عاملا من العوامل، لكن المتأمل في استراتيجية فرنسا في المنطقة يدرك أن فرنسا ماضية في احتلالها لموريتانيا حتى ولو لم تستغل الظروف الداخلية التي كانت تعيشها البلاد، فالبعثات والرحلات الاستكشافية لموريتانيا [5] عبر حقب زمنية، غرضها

(1) . تكانت هي الغابة، يحفها من الجانبين جبل عظيم، كجبل آدرار المتقد ويسمونه سن تكانت، متصلة بجبال أكثرها سوادا ومنها زرق يقترب في الارتفاع من جبال آدرار وتمتد مسيرة أيام متعددة طولا وعرضها يقرب من خمسة أيام ينظر: محمد دحمان، الترحال والاستقرار بمنطقتي الساقية الحمراء ووادي الذهب، مطبعة: كوثر برانت، الرباط، 2006، ص365.

(2) . علي سالمان علي بدوي، مرجع سابق، ص64.

(3) . هي طريقة شاذلية أول مشايخها محمد الاغطف بن حمى الله ولد سالم الداودي الجعفري وعنه أخذها الشيخ المختار بن الطالب أعمر البصادي وتلقاها الشيخ سيد احمد بن عمار البصادي ابن عمه ولقبه الشيخ الغطف فنسبت إليه الطريقة: ينظر: موريتانيا، كزافي كوبولاني (القصة الكاملة)، منشورات اتحاد الكتاب والأدباء الموريتانيين، موريتانيا، 2001، ص07.

(4) . محمد علي داهش، دراسات في الحركات الوطنية والاتجاهات الوحدوية في المغرب العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004، ص73.

(5) . الرحلات الفرنسية لموريتانيا كانت ذات مهمة تجسسية أكثر منها جغرافية أو استكشافية، ينظر: علي بدوي بدوي علي سالمان، مرجع سابق، ص61.

الوقوف على كل ما تملكه البلاد من إمكانيات بشرية ومادية، ضف إلى ذلك إضعاف نفوذ الإمارات بفعل التدخل في شؤونها لفرض الحماية والتبعية السياسية والعسكرية للبلاد لاحقا، وبفعل الاستنزاف الداخلي الذي أصاب الإمارات فيما بينها والصراع بينها، وبين شيوخ القبائل وما ترتب عنه من نفقات إضافية وحروب الرابح فيها وجد نفسه خاسرا[1].

بعد احتلال البلاد قرر الفرنسيون التعامل مع المشايخ الدينيين ورؤساء القبائل من المحاربين والزوايا، وصار هؤلاء صلة الوصل بين الإدارة الاستعمارية والمجتمع الموريتاني ما دعم من نفوذ الفئات التقليدية لكنه في الآن نفسه . سيضعف من علاقات التبعية بمرور الوقت تحت تأثير علاقات قادمة في نشأة نخبة الاستقلال[2].

ولم يلبث الرؤساء التقليديون يعانون نقصان هيبتهم وتقلص مواردهم، في وقت باتوا فيه مسئولين أمام الإدارة الاستعمارية عن تصرف أتباعهم دون أن تكون لهم سلطة حقيقية لممارسة مهامهم[3].

و . احتلال آدرار 1909م:

بسبب اختلاف الموريتانيين في مقاومتهم للفرنسيين وانقسامهم إلى قسمين: فئة عمادها المرابطون رضخت للغزو الأوربي، وارتبطت معهم بالتجارة في الجنوب[4]، وفئة الشمال المناوئين للفرنسيين، وجدوا صعوبة في المعيشة بحكم اعتمادهم على المراعي، مما مكّن لفرنسا استخدام سلاح الجوع ضد هؤلاء، ودفعت قبائل "آدرار" و"الساقية الحمراء" و"زمور" للتفاوض، ومن ثمة الاستسلام وإلقاء السلاح ودفع الجزية، وحسب ما أورده

(1) . مريم احمد الأمين، النظم السياسية والإدارية وأثرها على التركيبة التقليدية للمجتمع البيظاني 1900. 1954، جامعة نواقشط، 1989، ص09.

(2) . حماه الله ولد السالم، جمهورية الرمال، مرجع سابق، ص42 . 43.

(3) . سعد خليل، موريتانيا الحديثة، رسالة ماجستير، ج2، معهد البحوث والدراسات العربية العالمية، القاهرة، مصر، 1977، ص858.

(4) . هناك من الشيوخ من كانوا مؤيدين للوجود الفرنسي بحجج مختلفة ومنهم الشيخ سيديّا بابا (ت 1924) أبرز منظري الاستعمار بوصفه أهون الشرّين إذا قيس بالفوضى والسّيبة التي سادت أواخر القرن 19 م، كما علل ذلك استفادة الموريتانيين من علمانية الدولة الفرنسية ينظر : . حماه الله ولد السالم، جمهورية الرمال، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971. ص . ص30 . 31.

المؤرخون أن المقاومة تحررت أكثر بعد سنة 1908 التي عرفت أعنف سنوات النضال ومني خلالها الفرنسيون بخسائر فادحة[1] ومع ذلك انتهى الأمر باستيلاء الفرنسيين على آدرار عام 1909[2]، يقول النقيب "غاستون دوفور" عن الصعوبات التي واجهوها أثناء دخولهم آدرار:" في الغرب من منطقة آدرار كانت ما تزال بعض عناصر الفوضى وكان هناك عصابتان[3] إحداهما تناهز السبعين من أولاد غيلان والأخرى تناهز الستين من إيديشلي، أما عن القبائل الموالية والتي سهلت لهم ذلك يقول: "...لكن القبائل الداخلة في الطاعة خصوصا أرقيبات في آدرار والرعيان في تكانت قدمت لنا عونا مفيدا"[4].

بعد سقوط آدرار في يد الفرنسيين، دفع عددا هائلا من الزعماء والوجوه في المنطقة إلى قبول الحماية الفرنسية منهم: محمد ولد أخليل أحد زعماء الرقيبات وبعض وجهاء أولاد أدليم في الشمال حيث حضر إلى المركز الفرنسي في نواضيبو يوم 22 سبتمبر 1909م ناطقا باسم ثلاث عشائر من قبيلته[5]، وفي المنطقة الجنوبية الغربية شهدت نهاية السنة تصالح المنافس على إمارة الترارزة أحمد ولد الديد مع الفرنسيين في 1909/12/18 فكان لذلك أكبر أثر أمني ومعنوي على حركة المقاومة العسكرية في المناطق المحتلة[6].

مما سبق ذكره نستخلص ما يلي:

إن فرنسا اعتبرت موريتانيا منطقة حيوية استراتيجية تربطها بدول المغرب العربي الجزائر وتونس والمغرب الأقصى.

(1) . غاستون دوفور، مصدر سابق، مقتطف من مقدمة المترجم، ص . ص19. 20.

(2) . محمود السيد، تاريخ الشعوب الإسلامية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 2010، ص275.

(3) . لا نستغرب إن وجدنا مثل هكذا تصريحات من قبل القادة العسكريين الفرنسيين الذين يصفون المقاومين للاحتلال بأنّهم فوضويون وعصابة، وهذا يخالف المنطق، كان الأجدر منه أن يصف قواته بالغازية وأنّ هؤلاء هم المقاومون ولكن هذا هو منطق الاحتلال.

(4) . غاستون دوفور، مصدر سابق، ص149.

(5) . تقرير للنقيب "رويير" Rouyer المقيم في انواضيبو موجه إلى الوالي العام والحاكم العسكري في موريتانيا بتاريخ 1909/12/18 التقرير بحوزة المترجم وفق ما أورده في المصدر السابق الذكر . غاستون دوفور، مصدر نفسه، ص20.

(6) . غاستون دوفور ،مصدر سابق، مقتطف من مقدمة المترجم، ص20.

- ركزت فرنسا في البداية على العامل التجاري، إذ بنت سياستها على أن القبائل في موريتانيا هم أسياد وفرنسا تدفع الحقوق الجمركية التجارية مستغلة العامل الضريبي. تنافس رؤساء القبائل فيما بينهم فيمن يحصل أكثر على الأموال.
- استغلال فرنسا للفراغ السياسي القائم بين رؤساء القبائل والأمراء.
- بدء انهيار النظام الأميري وتصدع نظام القوافل وتدهور سلطة جماعة الحل والعقد.
- تطبيق سياسة فرق تسد على القبائل الموريتانية قصد إحداث الفتنة بين أبناء البلد الواحد سياسيا اجتماعيا وثقافيا مما أضعف الرصيد الجهادي ضد العدو.
- انتهاج أسلوب الإغراء لبعض الرافضين من الرؤساء القبائل قصد استمالتهم.
- تدعيم دور رؤساء القبائل على حساب الأمراء من خلال تقديم المساعدات المالية والعسكرية إليهم والتعامل معهم مباشرة دون الوسيط الأميري مشجعة حركة عصيانهم على الأمراء.
- عملت فرنسا على استراتيجية إذكاء الصراعات والتنافس بين الأمراء القبليين في موريتانيا حتى تستفيد هي من هذا الوضع الداخلي المتميز بالفتنة بين أبناء الأرض الواحدة منها التدخل الفرنسي الكبير في الخلافات على السلطة داخل إمارة "الترارزة "بين أحمد سالم ولد أعل وابني محمد فال سيدي وأخوه أحمد ولد الديد اللمسة الأخيرة على خطة التقدم داخل البلاد.
- استخدامها لسلاح الجوع لبعض القبائل الرافضة مما دفع بقبائل "آدرار" و"ساقية الحمراء" و"زمور" للتفاوض ومن ثمة الاستسلام وإلقاء السلاح.
- نجاح فرنسا في سياستها تجاه الموريتانيين مستغلة النظام القبلي القائم على الولاء للأمير والتنافس الشديد بينهم، مما مكن مهندس الاحتلال "كوبولاني" من فرض منطق السيطرة بالاتفاق الثنائي مع قبيلة التراروة وهي أهم القبائل الموريتانية سنة 1902 واستكمل السيطرة بإقامة الثكنات العسكرية عام 1903 ثم مع "البراكنة" عام 1904 وقبيلة "تكانت" عام 1905 م لتبقى قبيلة "آدرار" إلى غاية 1909 التي استكملها خلفاؤه من بعد، ورغم بعض المقاومات التي رفضت هذا الاحتلال إلا أنه في نهاية الأمر فشلت لعوامل منها البشرية والطبيعية والمادية وغيرها.

خاتمة:

موريتانيا كانت ضمن الدول المغلوبة على أمرها ضمن الأهداف العسكرية الأوربية، وشهدت تكالبا أوربيا من برتغاليين وإسبانيين وفرنسيين وإنجليز وهولنديين وحتى بلجيكيين، واستقر الأمر في النهاية لصالح الفرنسيين وفق حسابات استعمارية وتقاسم المناطق في شتى أنحاء العالم . وهكذا مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، عرفت البلاد الموريتانية بداية لمرحلة جديدة من تاريخها السياسي والاجتماعي تمثلت في خضوعها للهيمنة الفرنسية بأساليب مختلفة، طبعت كل مرحلة بسمات وخصائص مميزة، مما سمح في النهاية للنظام الفرنسي الجديد أن يحدث ارتباكا قويا على النظام المؤسس المحلي القبلي واستطاعت أن تستميل القبائل لتحقيق أهدافها وفعلا توصلت إلى ذلك بسقوط آخر قبيلة "آدرار" عام 1909 لتهيمن على هذا البلد الشنقيطي.

المصادر والمراجع

01 . المصادر:

1 . دوفور غاستون، تاريخ العمليات العسكرية في موريتانيا ق17 . 1920 م، تعريب وتعليق: المقدم محمد المختار ولد محمد ولد بيّة، الناشر: مكتبة القرنين 21/15 للنشر والتوزيع، ط1، انواكشط، موريتانيا، .2012

2 . جيلييه الرائد، التوغل في موريتانيا، تع : محمدن بن حمينا، دار الضياء للنشر والتوزيع، الكويت، 2007.

3 . كوبولاني كزافيي، موريتانيا (القصة الكاملة)، منشورات اتحاد الكتاب والأدباء الموريتانيين، موريتانيا، 2001.

4 . راندو روبير، كوبولاني اكزافيي، لوباسيفيكاتير، مطبعة، أ .ايمير، الجزائر، 1939.

02 . المراجع باللغة العربية:

أ . الكتب:

1. أزيد بيه بن محمد محمود، الزوايا في بلاد شنقيط، انواكشط، د.ت.

2. الأمين مريم أحمد، النظم السياسية والإدارية وأثرها على التركيبة التقليدية للمجتمع البيظاني 1900 . 1954، جامعة نواقشط، 1989.
3. بن أمم غيثي، إمارة أولاد يحيى بن عثمان (1900 . 1932)، المدرسة العليا للتعليم، نواقشط، 1986.
4. بن صدفن محمد الراظي، السياسة الاستعمارية في موريتانيا وأثرها على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية 1900. 1960، بيروت، لبنان، 1966.
5. بن محنض الحسين، تاريخ موريتانيا الحديث (من دولة الامام ناصر الدين إلى مقدم الاستعمار 1055/ 1322هـ . 1645 م/1905 م)، ط1، دار الفكر، نواكشقط، موريتانيا، 1431 هـ . 2010 م.
6. بن همدي محمد سعيد، موريتانيا وأوربا عبر التاريخ، (د، د، ن)، أطار، موريتانيا، 2002.
7. خلف التميمي عبد المالك، الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت.
8. دحمان محمد، الترحال والاستقرار بمنطقتي الساقية الحمراء ووادي الذهب، مطبعة: كوثر برانت، الرباط، 2006.
9. السيد محمود، تاريخ الشعوب الإسلامية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 2010.
10. صقر جوزيف، قصة وتاريخ الحضارات العربية بين الأمس واليوم، (القسم الثاني موريتانيا)، مطبعة كرابس الدولية، بيروت، لبنان، 1999.
11. مقلد محمد يوسف، موريتانيا الحديثة : غابرها . حاضرها أو العرب البيض في إفريقيا السوداء، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، (د، س، ن).
12. ولد السالم حماه الله، تاريخ موريتانيا (العناصر الأساسية)، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء المملكة المغربية، 2007.
13. ولد السالم حماه الله، جمهورية الرمال، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971.

ب . الدوريات:

1 . داهش محمد علي، دراسات في الحركات الوطنية والاتجاهات الوحدوية في المغرب العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004.

2 . صابر نور الدين، "كزافيي كبولاني والتوسع الفرنسي في المغرب العربي (1866. 1905)"، مجلة: الحكمة للدراسات التاريخية، المجلد 5، ع 12، (ديسمبر 2017).

ج . الرسائل الجامعية:

1. بنت الإمام فاطمة، المقاومة الدينية من خلال المحاضر، بحث لنيل شهادة الكفاءة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية قسم التاريخ، جامعة نواقشط، 1990/1989.

2. خليل سعد، موريتانيا الحديثة، رسالة ماجستير، ج2، معهد البحوث والدراسات العربية العالمية، القاهرة، مصر، 1977.

3. سالمان علي بدوي علي، الطريقة القادرية والاستعمار الفرنسي في موريتانيا 1960/1903، رسالة ماجيستير، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، قسم التاريخ، جامعة القاهرة، 2003.

01 . المصادر باللغة الفرنسية:

1. Marty Paul, Etudes Sur L'islam Et Les Tribus Maures- Les Brakna, Ernest Leroux, Paris, 1921.